الملخص

ان الفكر العربي فكر متطور متجدد على مر العصور لم يعرف الركون او التقهقر او الجمود.فحضارة العرب الفكرية حضارة مشرقة تتوقد من اذهان ابنائها فللعربي طاقات فكرية بدأ يفجرها في اللغة وهي اعز مايفتخر به العربي بل هي رأس المال الرمزي للعرب

ولكي يدلل على ميزات العربية بدأ يفتش عما تتمتع به اللغة عن غيرها من خلال مقارنتها بما سواها من لغات وانتهج سبيل المقارنة اللغوية التي سلك في سبيلها اتجاهين:

الاول: التأليف في اللغات الاخرى وافراد مصنفات خاصة بها.

الثاني:تضمين معرفته باللغات الاخرى في المؤلفات التي خصصها لدراسة العربية

وكل ذلك تم مناقشته باسلوب علمي يفصح عن معرفتهم العميقة بتلك اللغات

trends of the ancient Arab scientists in search of other languages

Prepared by:
Assistant Professor Dr. Mohammed Yas Khader
Tikrit University / College of Education / Department of Arabic Language
Master Huda Salah Rashid Tikrit University / College of Education for Girls / Department of Arabic Language

Abstract

The Arab Thought renewed sophisticated thought throughout the ages did not rely on known or retreat or inertia. Vhoudarh the Arab intellectual civilization shining تتوقد of the minds of her sons Vlarab intellectual energies began to explode in a language dearest Maevtakr Arab capital but is symbolic of the Arabs

In order to demonstrate the features of Arabic began to look for what have done for other language by comparing it with other languages and pursued a linguistic way of comparison in the process of two-way wire:

First: authoring in other languages and members of their own works.

II: knowledge of other languages included in the literature allocated to study Arabic

All of this has been discussed in a scientific manner disclosed deep knowledge of those languages

مقدمة

الحمد لله ربَّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أما بعد...

فإنَّ الحضارة العربية حضارة مشرقة تتوقد من أذهان أبنائها، والفكر العربي لم يكن على مر العصور التي مرّت عليه جامداً أو متركناً في زوايا ركنية يأوي إليها بعيداً عمّا يحيط بهِ من قضايا وشؤون الحياة عامة.

فالفكر العربي في شتى مجالاته لم يعرف التقهقر أو الوقوف صامتاً حيال ما حوله، بل كان ينطلق ليفتش ، ليبحث ثم ليصل إلى نقاط انطلاق مستمرة مستمدة من تمازج ما عنده بما عند الآخرين .

وهذا المبدأ الفكري كان يغذي كل جوانب العلوم التي تطرق إليها العربي القديم ولاسيما جانب اللغة الذي كان ولا يزال مسرحاً كبيراً للعربي الذي اعتز بلغته حتى جعلها جزءاً من كيانه.

وبدأ يسخّر طاقاته في سبيل بيان ما تفخر بهِ اللغة العربية وما يميزها عن غيرها ، وقاده ذلك بشكل أو بآخر إلى بحث اللغات الأُخرى التي جاورت العربية أو التي على أراضيها ، فبدأ العقل العربي يبحث تلك اللغات ، ووجدنا من القدماء من أتقن أكثر من لغة إتقاناً وصل إلى حد التأليف فيها والحديث عن نظامها الداخلي. ومن ثم مقارنة هذا النظام بالنظام المقابل له في اللغة العربية فتوصلوا إلى نتائج باهرة تضاهي ما توصل إليه المفكرون المحدثون .

ومن هذهِ الحقائق ينطلق هذا البحث كاشفاً عن بعض ما صمتت بعض الأفواه عن البوح بهِ مع عِظَمِهِ ألا وهو معرفة العرب باللغات الأخرى الذي اخترنا له عنوان **:اتجاهات العرب القدماء في بحث اللغات الأخرى** ،كاشفاً عن تلك المعرفة كما سيتضح ذلك من خلال العرض .

المبحث الأول: العرب أو اللغات الأُخرى :

شاع في أوساط الباحثين المحدثين . عرباً ومستشرقين . فكرة مفادها أَنَّ العرب لم يعرفوا لغات غير لغتهم [١] ، أو انّ معرفتهم باللغات كانت محدودة وضيقة ، فهي . إن وجدت . لا تعدو أن تكون معرفة عابرة تنقصها الخبرة .

وهذهِ الدعوة انطلقت من أفواه المستشرقين ثم تردد صداها عند الباحثين العرب المحدثين ، قال المستشرق د. إسرائيل ولفنسون :((ولكن مما يؤسف له أشد الأسف أن جميع علماء اللغة من المسلمين لم يكونوا يعرفوا شيئاً من اللغات السامية كالعبرية والسريانية معرفة صحيحية فنشأ من ذلك أنهم لم يوفقوا إلى بيان المعاني الدقيقة التي يؤديها كثير من الكلمات العربية في أصل وضعها ونشأ عن ذلك أيضاً وقوعهم في أغلاط فاحشة فيما يتعلق بفهم اشتقاق الكلمات؛ لأنه ليس من الممكن في كل الأحوال أن يهتدي الباحث إلى أصل اشتقاق الكلمة في بحثه لغة سامية واحدة))[٢] .

وارتفع صدى هذهِ الدعوى عند بعض الباحثين العرب ؛ فنجد د. رمضان عبد التواب يقول : ((لم يعتنِ علماء العربية في الماضي بدراسة اللغات السامية ، على الرغم من أن بعضها كان معروفاً لديهم ، وكان ذلك منبع ضلالات وأوهام لاتزال تقابلنا في مؤلفاتهم التي تركوها لنا ، رغم ما فيها من جهد يشهد لهم بالصبر والكفاية مدى الدهر))[٣] .

وهذا ما أكده د. إبراهيم السامرائي في معرض انتقاده للغويين العرب القدماء ، فوصفهم بأنهم ((لم يهتدوا إلى أنّ بين العربية والعبرانية والسريانية والحبشية ولغات أخرى علاقات تاريخية وقرابة لغوية مردها الأصول السامية التي دل عليها البحث الحديث))[٤] .

---

[١] ينظر : معرفة العلماء العرب القدماء باللغات السامية ٧٩.مجلة مجمع دمشق،ج٢ ،مج٧٣، ١٩٩٨م.
[٢] تأريخ اللغات السامية ٢١٧.
[٣] اللغات السامية : ٣ مقدمة المترجم .
[٤] فقه اللغة المقارن ١٧٩.

وزاد بعضهم على ذلك فادّعى أَن العرب قد أهملت بحث الدخيل في لغته ومصدره ، فعدَّ ذلك نقصاً وعيباً منيت بهِ الدرسات العربية ، فقال:((وربما كان النقص ، أو نقطة الضعف عند القدماء ، هو جهلهم باللغات الأخرى وعزوفهم عن النظر إلى الدخيل بغير المنظار العربي البحت . قومياً ودينياً ولغوياً . وزهدهم في تقصي جذوره في لغته أو التماس دقة معناه في بيئته أو مصدره ومنشئه وما إلى ذلك مما يتصل به))[٥] .

ونجد . من خلال ماتقدم . تجاهلاً واضحاً لدور العرب؛ فالمؤرخون للدرسات السامية يقفزون ((من فوق الجهود العربية ليتحدثوا عن جهود المستشرقين بادئين بشلوتسر ويعرجون على الأسماء اللامعة حقاً : غويدي ونولدكة وبروكلمان ورينان))[١].

إننا في الوقت الذي نسلم بالقول: إنَّ العرب لم تدرس اللغات على النحو المنهجي المنظم الذي عرفته أوربا في القرن التاسع عشر إلاَّ أن ((هذا التسليم يجب ألاَّ يحجب عنَّا اهتمام الدارسين العرب القدماء بلغات غير لغاتهم ، ولاسيما الفارسية وإلى حدَّ أقل السريانية التي كانت وما تزال لغة خطاب معروفة في المراحل التي بدأ العرب فيها تآليفهم اللغوية ، في حين أن العبرية كانت مقصورة على الطقوس الدينية فيما نعلم))[٢].

فالعرب لم يكونوا على كل حال من الأحوال ((أمة معزولة منقطعة الصلة بالأُمم الأخرى كما لم تكن بلادهم مغلقة بوجه من جاورهم تعصباً للعرق أو للقومية ، أو عزوفاً عن المشاركة في صنع مضاهر الحياة والحضارة ، بل كانت معبراً للتجارة والقوافل ومسرحاً لكثير من الحروب والرحلات والأسفار ...))[٣].

وإذا أردنا أن ندلل على صدق مزاعمنا فيمكن أن نلتمس ذلك من كتب السير والأخبار والتراجم

---

[٥] في فقه اللغة العربية ٤٦٠.
[١] مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية ٩.
[٢] فقه العربية المقارن ١٧٩
[٣] العرب ولغات الأمم الأخرى٢٣٧.

ومن أقدم الإشارات التي تردنا في هذا السياق ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أنَّه ((لمَّا سُئِلَ عن الساعة ، فقال :{ علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلاَّ هو} [الأعراف / ١٨٧] ، ولكن أخبركم بمشاريطها ، وما يكون بين يديها إنَّ بين يديها فتنة وهرجاً ، قالوا ؛ يا رسول الله ، الفتنة قد عرفناها ، فالهرج ما هو ؟

قال : بلسان الحبشة : القتل))[٤].

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة أن رسول الله(عليه الصلاة والسلام) كان يعرف مصدر الكلمة ومعناها من أصلها بأنها دلالات أُخرى معروفة في اللسان العربي

كما أُنه (صلى الله عليه وسلم) ومن منطلق التعايش مع الأمم الأخرى أمر عدداً من الصحابة بتعلم لغات أخرى إلى جانب لغتهم العربية؛ فقد أمر زيد بن ثابت (رضي الله عنه) بتعلم اللغتين العبرية والسريانية ، فتعلم العبرية في خمسة عشر يوماً ، والسريانية في سبعة عشر يوماً[٥].

ومما ينم عن معرفة العرب باللغات الأخرى ما رُوِيَ عن ابن المقفع من أنّه كان يترجم عن الفارسية والهندية ، فقد ترجم (كليلة ودمنة) ، و (التاج) و (الأدب الكبير) و (الأدب الصغير)[١].

كما رُوِيَ عن الفارابي أنَّه قال : ((أُحِسنُ أكثر من سبعين لساناً))[٣].

وهذهِ الأقوال والأخبار تبين – بشكل موجز – معرفة العرب باللغات الأخرى تلك المعرفة التي تفصح عنها اتجاهاتهم في بحث تلك اللغات ، وهو ما نستعرضه في الفقرة الآتية .

---

[٤] مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٣٥/٣٨.
[٥] ينظر : الإصابة ٢٣/٣.
[١] ينظر : العرب ولغات الأُمم الأخرى ٢٤٠،مجلة الساتل ع١ ٢٠٠٦م.
[٢] شذرات الذهب ٣٥٠/٢.

المبحث الثاني:

إتجاهات القدماء في بحث اللغات الأخرى:

لقد انتهج اللغويون العرب القدماء في بحث اللغات – ولاسيما السامية – سبلاً شتى يمكن أن نصفها في اتجاهين :

١- **الإتجاه الأول** : التأليف وإفراد المصنفات التي تتناول بحث تلك اللغات،إذ أنَّ ((الكتابة عن التماس الحضاري واللغوي من الأمور الرائدة التي التفت إليها عدد من العلماء العرب المسلمين))[٣] .

وأخذ هذا الفريق على عاتقه مهمة المقارنة بين العربية وأخواتها في مصنفات مستقلة أُعدّت لذلك ، ومنهم من بات يستخرج ما في اللغة العربية من كلمات من لغات أخرى من تلك المصنفات على سبيل الذكر لا الحصر :

. لغات القرآن لابن عباس ٦٨هـ مطبوع.
. اللغات في القرآن لأبي عبيدة ٢٢٤هـ مطبوع.
. المعـرب لأبي منصور الجواليقي ٥٤٠هـ مطبوع .
. تنوير الغبش في فضل السودان والحبش لابن الجوزي ٥٩٧ مطبوع .
. زهو الملك في نحو الترك لأبو حيان الأندلسي ٧٤٥ مفقود[٤].
. منطق الخرس عن لسان الفرس لأبو حيان الأندلسي مفقود[١].
. جلاء الغبش عن لسان الحبش لأبو حيان الأندلسي مفقود[٢].
. الإدراك للسان التراك لأبو حيان الأندلسي مطبوع.
. المتوكلي للسيوطي ٩١١هـ مطبوع.
. المهذب للسيوطي مطبوع.
. أزهار العروش في أخبار الحبوش للسيوطي مطبوع.

---

[٣] جهود العلماء المسلمين في تأصيل المفردات الحبشية ٨٦. .المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية،ع٣،مج٧، ٢٠١١م.
[٤] كشف الظنون ٩٦٢/٢.
[١] المصدر نفسه ١٨٦٤/٢.
[٢] نفخ الطيب ٥٥٢/٣-٥٥٣.

إذ تناولت المصادر المذكورة آنفاً اللغات الأُخرى غير العربية تناولاً ينبيء عن معرفة عميقة بأصواتها وأبنيتها وتراكيبها ومفرداتها ، فلم يكتفوا بذكر اللغات المتشابهة التي تنتمي إلى أصل واحد ، بل بحثوا كذلك في اللغات التي تختلف في بنيتها عن العربية كالفارسية والتركية ، كما هو الحال عند أبي حيان الذي كان مُلماً ببعض اللغات الأجنبية فألف فيها .

وهم في يحليلهم ينتهجون سُبل المقارنة اللغوية بين خصائص العربية وتلك اللغات.

٢- **الاتجاه الثاني** : ويقوم هذا الاتجاه على تضمين معرفتهم بتلك اللغات في كتبهم التي درسوا فيها العربية ، ولم تقتصر هذه الكتب على اللغوية منها ، بل شملت – فضلاً عن الكتب اللغة – كتب أصول الدين والتاريخ والجغرافية والفنون الأخرى .

وقد ورد عنهم أنهم قارنوا بين العربية وغيرها من اللغات في مجال الأدوات ، والصيغ ، والتراكيب والأصوات .

فمن ذلك ما جاء عن ابن سلام (ت ٢٢٤هـ) في مقارنته " أداة التعريف" بين العربية والسريانية ، فقال : ((للعرب في كلامهم علامات ، لا يشركهم فيها احد من الأمم نعلمه ، منها : إدخال الألف واللام في أول الاسم ، وإلزامهم إياه الإعراب في كل وجه ، في الرفع والنصب والخفض ، كما أدخلوا " في الطور" فحذفوا الألف التي في الآخر ، فألزموه الإعراب في كل وجه وهو بالسريانية " طورا " على حال واحد ، في الرفع والنصب والخفض ، وكذلك " اليم" وصرفته في جميع الإعراب)) [٣] .

ففي هذا النص نجد ابن سلام يأخذ جانباً من جوانب اللغة عارضاً إياه على اللغة السريانية فيقف مقارناً بينهما مبيناً الفرق بين اللغتين بأسلوب دقيق ينم عن معرفته بهما.

---

[٣] الزينة في الكلمات الاسلامية ٧٧/١.

وهذا المنهج نجده عند أصحاب المعاجم ، فقد أخذ به ابن دريد (ت ٣٢١هـ) حين قارن بين عدد الحروف العربية واللغات الأُخرى (السريانية ، والعبرانية ، والحبشية) خاصة ، مبيناً ما اختصت بهِ لغة العرب ، في محاولة منه لرصد التشابه والاختلاف بين العربية وما سواها .

ووظف علم الأصوات ، وبالتحديد عدد الحروف التي تتألف منها اللغات المذكورة في سبيل تحقيق غايته، فرصد التبدلات الصوتية التي تتعرض لها الأصوات العربية إذا نطق بها غير العربي ، متبعاً في ذلك معيار المقارنة ، فقال : ((اعلم أنّ الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات تسعة وعشرون حرفاً منها حرفان مختص بهما العرب دون الخلق ، وهما الحاء والظاء ، وزعم آخرون أن الحاء في السريانية والعبرانية والحبشية كثيرة وأنّ الظاء وحدها مقصورة على العرب ومنها ستة أحرف للعرب والقليل من العجم ، وهُنَّ العين والصاد والضاد والقاف والطاء والتاء وما سوى ذلك فللخلق كلهم من العرب والعجم إلاَّ الهمزة فإنها لم تأتِ من كلام العجم إلاَّ في الأبتداء)) [١].

هذا من جانب ، ومن جانب آخر نجد أن من أصحاب المعاجم من كانت له وقفة مقارنة هاهنا اختار فيها الجانب النحوي، فوقف يبحث مسألة من مسائله عارضاً إياها على ما سوى العربية من لغات ، نذكر من ذلك ما ورد عن ابن منظور(ت ٧١١هـ) من تحليل مقارن ينم عن روح التخصص والتتبع حين قارن بين العربية والفارسية في مسألة نحوية (مسألة الإضافة) في أثناء حديثه عن مادة (زرجن) ،إذ قال:((وقال السيرافي : زرجون فارسي معرّب شبه لونها بلون الذهب لأنّ (زر) بالفارسية الذهب؛ وجون اللون ، وهم يعكسون المضاف والمضاف اليه عن وضع العرب))[٢].

---

[١] جمهرة اللغة ٤/١.

[٢] لسان العرب مادة(زرجن).

وما ذكرناه من نصوص قليلة تنبيء عن معرفة العرب العميقة باللغات الأخرى ، وانتهاجهم سُبل المقارنة التفصيلية ، وهذا يدل على تسرّع الباحثين المستشرقين والعرب المحدثين الذين حكموا بعدم معرفة العرب القدماء باللغات الأخرى .

لعلنا لا نجانب الصواب إن قلنا بالسبق العربي في هذا الجانب، وأنهَّم قد خرجوا من محيط لغتهم إلى اللغات الأُخرى ، واعتزازهم بلغتهم لم يصرفهم عن بحث اللغات الأخرى ، بل عزز من إثبات تفوق لغتهم على غيرها .

الخاتمة

ندرج هنا أهم النتائج المستقاة من البحث والتي نوهنا إليها في الاستعراض له :

١- إن الفكر العربي كان على معرفة باللغات الأُخرى ومنذ أمد بعيد ،نتيجة للتعايش الحضاري بينه وبين أصحاب تلك اللغات .

٢- سعي العربي إلى تعلم تلك اللغات الذي ازدادت الحاجة إليه ولاسيما بعد ظهور الإسلام ،الذي أمر الرسول (عليه الصلاة والسلام) عدد من الصحابة بتَعلمها.

٣- إتجه المفكر العربي في بحث اللغات الأخرى إلى ثلاثة اتجاهات، وهي :

أ- إفراد مؤلفات خاصة لبحث تلك اللغات .

ب ـ تضمين معرفتهم باللغات الأخرى في مؤلفاتهم التي خصصت لدراسة العربية .

ج- محاولة عقد مقارنة دقيقة بين العربية واللغات القريبة منها مما يدلَّ على معرفتهم بفصائل اللغات وانتمائها إلى أَرومة واحدة .

المصادر

١- الإصابة في تمييز الصحابة، أبن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٢- تاريخ اللغات السامية ، د.اسرائيل ولفنسون ، مطبعة الاعتماد ، شارع حسن الأكبر – ط١ – ١٩٢٩م.

٣- جمهرة اللغة ،محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ،حيدر أياد ،الدكن ، ط١، ١٣٤٤هـ.

٤- الزينة في الكلمات الإسلامية ، أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي ،عارضة بأصوله وعلّق عليه حسين بن فيض الله الهمذاني اليعربي الحرازي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ، ط١ – ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب،أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان.

٦- فقه العربية المقارن ،د.رمزي منير بعلبكي ،دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٩٩م.

٧- فقه اللغة المقارن، د. ابراهيم السامرائي ، دار العلم للملايين ،بيروت ١٩٦٨م.

٨- في فقه اللغة العربية ،د.محمد فريد عبد الله ،دار الحياة ،بيروت٢٠٠٩ م.

٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الكتب العلمية – بيروت .

١٠- لسان العرب، ابن منظور ،دار صادر – بيروت ١٩٩٠م.

١١- اللغات السامية ،المستشرق الألماني تيودور نولدكة ،ترجمة عن الألمانية د.رمضان عبد التواب ، مكتبة دار النهضة العربية .

١٢- مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية ، د. هاشم الطعان، منشورات وزارة الثقافة والفنون – جمهورية العراق ١٩٧١م.

١٣- مسند الامام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ – ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

١٤- نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية – بيروت . لبنان.

المجـــــــــلات

- جهود العلماء المسلمين في تأصيل المفردات الحبشية،أمنه الزعبي،المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد الثالث ، المجلد السابع ١٤٤٣هـ- ٢٠١١م.

- معرفة العلماء العرب القدماء باللغات السامية،مسعود بوبو، مجلة الساتل ، مجلة علمية شاملة تصدرها جامعة السابع من اكتوبر ، مصراته، ليبيا ع١ – ٢٠٠٦.

- العرب ولغات الامم الاخرى،مسعود بوبو ،مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، دمشق ، الجزء الثاني، المجلد الثالث والسبعون ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.